جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم التاريخ

"التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين"

(٤٢٨- ٥٤٦هـ)

رسالة مقدمة من الباحث

أحمد مصطفى حامد أحمد

المعيد بقسم التاريخ

للحصول على درجة الماجستير في الآداب

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور	الدكتورة
محمود إسماعيل عبد الرازق	غادة كمال السيد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية	مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب- جامعة عين شمس	كلية الآداب- جامعة عين شمس

القاهرة ٢٠١٩

جامعة عين شمس
كلية الآداب

قسم التاريخ

اسم الباحث: أحمد مصطفى حامد أحمد

عنوان الرسالة:التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين.

(٤٢٨_٥٤٦هـ)

الدرجة: ماجستير

الإشراف

أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب- جامعة عين شمس.

د. غادة كمال السيد مدرس التاريخ الإسلامي كلية الآداب- جامعة عين شمس.

تاريخ البحث : / / ٢٠١ .

الدراسات العليا :

ختم الجامعة

/ / ٢٠١

أجيزت الرسالة بتاريخ

/ / ٢٠١

موافقة مجلس الكلية

/ / ٢٠١

موافقة مجلس الجامعة

/ / ٢٠١

جامعة عين شمس
كلية الآداب

قسم التاريخ

اسم الباحث: أحمد مصطفى حامد أحمد

عنوان الرسالة:التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين.

(٤٢٨_٥٤٦هـ)

الدرجة: ماجستير

لجنة الحكم والمناقشة

أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب– جامعة عين شمس. **رئيسًا ومشرفًا .**

أ.د/ محاسن محمد علي الوقاد أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب– جامعة عين شمس. **عضوًا ومناقشًا.**

أ.د/ صلاح خليل سلام أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ كلية الآداب– جامعة حلوان. **عضوًا ومناقشًا.**

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

سورة طه ١١٤.

الإهداء

إلى أمي نبع العطاء

إلى زوجتي رمز الوفاء

محتويات البحث

المقدمة أ- ش

الفصل التمهيدي

المتصوفة في المغرب الأقصى قبيل قيام دول المرابطين. ١ -٣٣

الفصل الأول

أسباب وكيفية انتشار التصوف في المغرب الأقصى خلال عصر المرابطين. ٣٤- ٧١

الفصل الثاني

الدور السياسي للمتصوفة خلال عصر المرابطين. ٧٢- ٩٩

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمتصوفة في عصر المرابطين. ١٠٠- ١٣٠

الفصل الرابع

الحياة الدينية والثقافية للمتصوفة في عصر المرابطين. ١٣١- ١٦٧

الخاتمة ١٦٨- ١٧٠

الملاحق ١٧١-١٨٦

الببليوغرافيا ١٨٧ – ٢١٥

المقدمة

المقدمة

ينصب اهتمام كثير من المؤرخين المحدثين بالجوانب المادية، بيد أن دراسة تاريخ الفكر الإسلامي لاتزال تحتاج إلى اهتمام الباحثين.
اتجه الباحث في أطروحته صوب الفكر التاريخي، حيث اتجه إلى دراسة التصوف الذي يعد بمنزلة قاسم مشترك بين جميع الفرق الإسلامية دراسة "ميكروسكوبية"، يتقدم بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، وعنوان هذه الأطروحة "التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عهد المرابطين".

تأتي أهمية هذه الأطروحة بحكم التخصص، إذ كان من العسير قراءة البنية الحضارية والتاريخية في الغرب الإسلامي أو فهم مكوناتها بمعزل عن ظاهرة التصوف التي شكلت عمودها الفقري، وجسدت إحدى مقوماتها الروحية والفكرية، وانطلاقًا أيضًا من إدراك فهم الواقع الإسلامي في تلك الحقبة فى ظل التناقضات الكثيرة التي وقع فيها المؤرخون لاسيما مؤرخي الفرق الإسلامية ، وهو ما استوجب من الباحث سبر أغوار والتعمق في هذه المرحلة من تاريخنا الإسلامي.

بالرغم من أهمية الأطروحة، بيد أنه فيما يبدو لي لم أجد أحدًا من الباحثين قد بحثه بشكل متكامل من خلال إبراز جميع جوانبه، فقد عرج عليه الباحثون على عجل، الأمر الذي طبع هذه الدراسات بطابع التعميم والتجريد والخلط.
أما الباحث فقد فطن أن هناك تيارين صوفيين مختلفين هما التصوف الباطني العرفاني المعارض، والتصوف السني السلطوي، ولكل منهما منطلقاته وبنيته ومقاصده، وهو الأمر الذي سنوليه

المزيد من الاهتمام في جميع فصول الرسالة. فقد وضعت نصب عيني هدفًا أساسيًا وهو إبراز وجود نوعين من التصوف، كما بيَّنت دور كل منهما على جميع الأصعدة؛ السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والفكرية. كما يقر الباحث بأن تلك الأطروحة لم تقدم منهجًا متكاملًا إذ أن المنهجية المتكاملة تقتضي سبرًا عميقًا للمناهج الجزئية في دراستها.

غير أن مايؤسف له هو أن دراسة التصوف في الغرب الإسلامي يكتنفها كثير من الصعوبات خصوصًا التعامل مع كتب التصوف، وتبرز هذه المشكلة في أن معظم كتب المتصوفة لاسيما الباطنيون العرفانيون قد فُقدت، وذلك لموقف السلطة وفقهاء المالكية الذين تتبعوا تلك المؤلفات وأحرقوا معظمها، مما جعل تداول هذه الكتب محددًا ومقتصرًا على المؤلف وبعض إخوانه ومريديه.

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة مناهج شتى؛ منها المنهج الإستقرائي الذي يعتمد شمولية النظرة، وعمق التحليل عن طريق إستيعاب النصوص، ووضع التساؤلات عبر تحليل الروايات وفق منهجية تفكيكية قائمة على استنطاق النصوص المصدرية، بالإضافة إلى المنهج الموضوعي لعرض الأفكار في شكل موضوعات مترابطة، كما استخدم المنهج الوصفي، كذا المنهج الإحصائي لما له من دلالات مهمة في تفسير الظواهر المدروسة إيجابًا أو سلبًا، ولقدرتها على إعطاء الباحث مايُعينه على التحليل.

قسَّم الباحث الأطروحة إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وببليوغرافيا الرسالة.

يتضمن الفصل التمهيدي "المتصوفة في المغرب الأقصى قبيل قيام دولة المرابطين " منوهًا فيه عن معنى التصوف من الناحية اللغوية، ومن الناحية الإصطلاحية، وتعريف التصوف، ثم تطرق الباحث إلى أصول ظاهرة التصوف، والرد على بعض المستشرقين ومن تبعهم من المؤرخين المحدثين الذين أخرجوا الظاهرة الصوفية من دائرة الشريعة الإسلامية برمتها وإلصاقها بجذور وثنية يونانية وهندية، أو حتى مسيحية، ثم تناول بإيجاز مراحل التصوف منذ النشأة مرورًا بتطوره حتى إكتماله، وأخيرًا تناول البحث انتشار التصوف في المغرب الأقصى قبيل قيام دولة المرابطين حيث كانت هناك أسباب داخلية وأخرى خارجية أدت إلى انتشار التصوف، وبيان مراحل تطوره حتى قيام دولة المرابطين، كذا كيفية تسرب التصوف الباطني العرفاني إلى المغرب .

تناول الفصل الأول "أسباب وكيفية انتشار التصوف في عصر المرابطين" يشمل مايلي :المبحث الأول: رصد الأسباب الداخلية لانتشار التصوف. وتمثلت في العنصر الأول: الرباطات والزوايا في جميع أنحاء المغرب سواء في الداخل أو على الساحل، والعنصر الثاني: الطبيعة والنزعة الدينية لدولة المرابطين حيث نشأت تلك الدولة على أساس الربط فسميت دولة المرابطين، والعنصر الثالث ظهور مؤلفات المتصوفة ورسائلهم، أما العنصر الرابع فهو أسفار المتصوفة المغاربة داخليًا لنشر التصوف، والعنصر الخامس تمثل في حركة الفكر ومجالس الذكر وانتشارها.

أما المبحث الثاني: فقد تناول الأسباب غير المباشرة لانتشار التصوف؛ سواء من الناحية السياسية، أو على الصعيد الاقتصادي، والاجتماعي، والوضع الفكري والأخلاقي، ومدى تأثير تلك العوامل في انتشار التصوف خلال عصر المرابطين. ثم انتقل إلى المبحث الثالث وهي العوامل الخارجية لانتشار التصوف وتمثلت في التأثير الشرقي حيث لعب متصوفة الشرق دورًا بارزًا في نشر التصوف في المغرب الأقصى، ثم يأتي تأثير متصوفة الأندلس لاسيما العرفانيون الباطنيون. كذا التأثير الإفريقي وإن كان دور هذا الأخير محدودًا.

أبرز الباحث دور المتصوفة الباطنيون العرفانيون، كإبن العريف، وابن برجان، باعتبارهم أعلام التصوف الباطني في عصر المرابطين، كما تناول التصوف السني وتطوره في المغرب الأقصى حيث بدأ تصوفًا سنيًا(ساذجًا) بسيطًا اتسم بالبعد الأخلاقي والزهد فقط، ثم تطور بعد دخول مؤلفات أبي حامد الغزالي إلى المغرب حيث سمحت دولة المرابطين بانتشار "إحياء علوم الدين " في محاولة للقضاء على التصوف الباطني العرفاني الذي تسرب إلى المغرب الأقصى.

خصص الباحث الفصل الثاني للحديث عن "الدور السياسي للمتصوفة خلال عصر المرابطين، وقد تناول الباحث سياسة التقارب والمودة بين المتصوفة والسلطة، ثم تطرق إلى سياسة المعارضة والتنافر التي كانت في أغلبها من المتصوفة الباطنيين العرفانيين، كما ذكر ثوراتهم، ورصد تأثير ثورات المتصوفة العرفانيون في الأندلس على متصوفة المغرب الأقصى، ثم أبرز الباحث الدور الجهادي لهم، حيث شاركوا في الجهاد ولو بدور محدود عكس متصوفة السنة الذين آثروا السكون والراحة.

أما الفصل الثالث؛ فقد جاء بعنوان "الحياة الاقتصادية والوضعية الاجتماعية للمتصوفة" قسمه الباحث على مبحثين: الأول تناول فيه الحياة الاقتصادية في عصر المرابطين بإيجاز، ثم استعرض البحث النشاط الاقتصادي للمتصوفة لاسيما العرفانيون منهم، كذا دورهم في الأزمات الاقتصادية داخل المجتمع .

أما المبحث الثاني: المتصوفة والحياة الاجتماعية، فقد ذُكر فيه الوضعية الاجتماعية للمتصوفة، ورصد مدى انتشار التصوف بين جميع طبقات المجتمع، ثم موقف المرأة من التصوف، كذا ظهور الطوائف الصوفية والطرقية السنية التي لعبت دورًا اجتماعيًا سلبيًا، ثم استعرض الباحث الدور الاجتماعي الايجابي والفعَّال للمتصوفة الباطنيون العرفانيون تجاه الناس.

تناول الفصل الرابع "الحياة الدينية والثقافية للمتصوفة" والذي انقسم على مبحثين: الأول تحدث فيه الباحث عن النشاط الديني للمتصوفة لاسيما العرفانيون، فقد قاموا ببناء المساجد وإعمارها، كما عملوا في منصب الخطابة وإقامة الشعائر، ومحاربة البدع وأدعياء التصوف، ونسخ المصاحف وتوزيعها، والتنقل لنشر تعاليم الإسلام الصحيحة.

أما المبحث الثاني فقد عني بالدور العلمي والثقافي للمتصوفة والذي برز فيه جل المتصوفة الباطنيون العرفانيون عكس متصوفة السنة إذ حرصوا علي طلب العلم داخليًا وخارجيًا، فنبغوا في العديد من العلوم النقلية والإجتماعية مثل علوم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم التوحيد والعقيدة، وعلوم اللغة العربية والنحو، وعلم التاريخ، وعلم التصوف الباطني العرفاني ثم انتقلوا لمرحلة التعليم حيث نقلوا علومهم لمريديهم وطلابهم .

اختتم الباحث الأطروحة بخاتمة ضمنها أهم النتائج ، كما ذيلها بثبت يتضمن ببليوغرافيا الرسالة.

استعان الباحث بالعديد من المصادر، والتي تنوعت بين مصادر تتعلق بالتاريخ الإسلامي العام، والتصوف، والفرق، والتراجم، والفقه، والطبقات، والجغرافيا. بالإضافة إلى بعض الدراسات العربية والأجنبية. وسنعرض لبعضٍ منها بحسب أهميتها.

أولًا: المصادر العربية:

يأتي في مقدمتها "التشوف إلى رجال التصوف" وهو من تأليف يوسف بن يحيى التادلي، وقد حققه أكثر من شخص مثل أحمد التوفيق، وأدولف فور، عاش المؤلف في القرن السابع الهجري(٦١٧هـ/١٢٢٠)، وهو من أهم المؤلفات التي استعان بها الباحث، حيث أفادني في جميع فصول الرسالة، عدد صفحاته ٤٥٠ صفحة، وقد ذكر فيه المؤلف أخبار مائتين وتسعة وسبعين من الزاهدين والمتصوفة بالمغرب الاقصى، بينهم تسعة عشر مجهولًا، استقر هؤلاء المترجمون بأغمات ومراكش وأعمالها، ودكالة ، وفاس، وركراكة، وتادلا، وهسكورة، وسجلماسة، وفاس ومكناس، وسلا، وسبتة، ودرعة، والسوس الأقصى، وتلمسان، وبجاية، وغيرها، وأخذ التادلي هذه الأخبار عما يزيد عن خمسين من الرواه، ويظهر بالإستقراء أن معظمهم من إخوان المؤلف في طريق القوم، ويظهر أيضًا أنه أكثر من الرواية في أخبار مناطق معينة؛ مثل: سجلماسة، وسبتة، وتادلا، ودكالة.

مؤلفات ابن العريف؛ فمؤلفاته عظيمة في التصوف العرفاني الباطني في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين خاصة، فهو

الصوفي أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجى، لُقّبَ بابن العريف؛ لأن والده كان يعمل عريفًا بحرس الليل بمدينة طنجة بالمغرب الأقصى ، وقد ولد ابن العريف وقُتل أيضًا خلال عصر المرابطين، ومن أهم مؤلفاته "محاسن المجالس " في التصوف وبدا فيه ملامح المنهج الباطني العرفاني. وقد أفادني في جميع فصول الرسالة. أما مؤلفه الثاني فهو "مفتاح السعادة وتحقيق طريق الإرادة"، ويتضمن رسائل إلى بعض إخوانه ومريديه من المتصوفة، وفي هذا الكتاب خاطب طبقة محددة من السالكين الذين قطعوا شوطًا كبيرًا في التصوف العرفاني، وهو عبارة عن شرح لمنازل القوم وتوضيح السلوك وإنارة الطريق لهم.

مؤلفات أبي حامد الغزالي في التصوف؛ ونخص بالذكر "إحياء علوم الدين"، هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالى، توفى عام ٥٠٥هـ، وتأتى أهمية الكتاب بسبب انتشاره في المغرب الأقصى خلال عصر المرابطين بشكل واسع فنهل منه أعلام التصوف السني ، ودرسوه ثم وضعوه بين يدى مريديهم لينهلوا منه، ويعد هذا الكتاب من أهم أدوات السلطة المرابطية التي سمحت بنشره للقضاء على التصوف الباطني العرفاني قبل أن تنقلب عليه فى عهد علي بن يوسف وتأمر بإحراقه.

"أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد "ومؤلفه أبو مدين شعيب وقد عاش، وتوفى أيضًا في القرن السادس الهجري فقد لحق جزءًا كبيرًا في عصر المرابطين وأدرك سقوطها ثم عاش فترة في عصر الموحدين، ألف كتابه "أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد "، وقد عرف هذا الكتاب "بالحكم الغوثية" أيضًا ، ويتضح من خلاله أن أبا